

The construction of heritage in the 19th century and the beginning of the 20th century "The Baths of Caracalla in Rome and the Hamam al-Nazha in Beirut as Case Study"

Dr. Mohammad Qassem Jaber^{1, a}, Dr. Rola Ali Hijazi^{1*}

¹ Faculty of Fine Arts and Architecture, Lebanese University, Hadat, Lebanon

^{1, a} Faculty of Sciences and Arts, Islamic University of Lebanon, Khaldeh, Lebanon

المستخلص

البناء التراثي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين
"حمامات كركلا في روما وحمام النزهة في بيروت أنموذجاً"
د. محمد قاسم جابر، د. رولى علي حجازي

تتناول الدراسة تطوّر الحمامات العامّة عبر العصور، مع التركيز على التحوّلات التي مرّت بها كونها مراكز عامّة للاستحمام إلى أن أصبحت جزءاً من الخصوصية المنزلية. تبدأ الدراسة بفحص الجدول الزمنيّ للتحوّل من الحمامات العامّة إلى الخاصّة، وتبرز تطوّر أشكالها ووظائفها لتناسب معايير كلّ فترة زمنية. تستعرض الدراسة بشكل خاصّ، الحمامات الرومانية مثل حمامات كركلا في روما، مقابل الحمامات اللبنانية مثل حمام النزهة في بيروت. وتُظهر أسباب وجود الحمامات كإرث ثقافي ومعماري، وكيف أثر هذا الجانب على الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع. من خلال تناول أسباب ذاتية وموضوعية لهذه الظاهرة، تناقش الدراسة تأثير الحمامات العامّة على نمط الحياة الاجتماعية، وتطرح إشكالية تلاشي دور هذه الحمامات في مجتمع بيروت الحديث، بوصفه جزءاً من التراث الثقافي. تهدف الدراسة إلى تحليل تأثير الحمامات العامّة التركية التي ظهرت في القرن التاسع عشر بالحمامات الرومانية القديمة، وتستقصي أوجه التشابه والاختلاف بينهما بما يتضمّن الأبعاد المعمارية والزخرفية. في النهاية، تُسلط الضوء على الأهمية التراثية للحمامات، وكيفية المحافظة عليها كجزء من هوية المجتمع اللبناني، ما يؤكد ضرورة الحفاظ على هذا الجانب الاجتماعي والجمالي في ظلّ التغيّرات المعمارية الحديثة. في الختام، تطرح الدراسة إمكانية الحفاظ على هذه الحمامات التراثية مع التقدّم العمراني، مؤكّدة أهمية التوازن بين الأصالة والمعاصرة لضمان استدامة تراث المدينة.

ABSTRACT: The study examines the evolution of public baths throughout history, focusing on the transformations that have occurred for them to become part of private residential architecture. The study starts by examining the timeline of the shift from public to private baths, highlighting their forms and functions in line with the standards of each period. It specifically reviews Roman baths such as the Baths of Caracalla in Rome and Lebanese baths such as Hammam al-Nuzha in Beirut. It shows the reasons for the presence of baths as a cultural and architectural heritage, and how this aspect affected the cultural and social identity of the community. Through the discussion of the subjective and objective reasons for this phenomenon, the study discusses the impact of public baths on social life and raises the issue of the disappearance of their role in modern Beirut society, as part of the cultural heritage. The study aims to analyze the impact of Turkish public baths that appeared in the 19th century on ancient Roman baths, and investigate the similarities and differences between them, including architectural and decorative dimensions. In conclusion, it highlights the historical importance of baths, and how to preserve them as part of Lebanese identity, emphasizing the need to preserve this social and aesthetic aspect in the face of modern urban changes. In conclusion, the study raises the possibility of preserving these heritage baths with modern urban development, emphasizing the importance of balance between authenticity and modernity to ensure the sustainability of city heritage.

المقدمة

تطوّرت غرف الحمامات عبر العصور، فأدخلت عليها تعديلات وأنظمة مختلفة، وتنوّعت في أشكالها ووظائفها وطرزها؛ بما يتناسب مع معايير كلّ عصر. فقديمًا، كانت الحمامات عامّة، ثمّ انتقلت ببطءٍ إلى الخاصّ من مطلع القرن التاسع عشر حتّى أوائل القرن العشرين، حيث أصبحت ملاصقةً للمسكن أو ملحقةً به كمساحة خارجية، ثمّ انتقلت إلى داخل السكن، إلى أن أصبحت جزءًا من غرفة النوم الخاصّة. يعود ذلك إلى تطوّر نمط حياة البشر ومستوى دخل الأفراد، ما ساعد على تأمين الخصوصية في طريقة السكن والعيش.

انتشرت الحمامات بشكل ملحوظ في القرن العشرين في لبنان عامّةً وفي العاصمة بيروت على وجه الخصوص. حيث تميّزت بعددٍ من الحمامات الشهيرة مثل حمام فخر الدين، القشاني، الأوزاعي، السرايا، الصغير، الدركه، الباشورة، العسكر، البسطة، الزاهرية، زهرة سوريا، وكانت تسمّى هذه الحمامات آنذاك بالحمامات التركيّة.

من هذا المنطلق، تركّز الدراسة على دراسة الحمامات الرومانية مثل حمامات كركلا في روما، مقارنةً بالحمامات اللبانيّة، وتحديدًا حمام النزهة في مدينة بيروت.

- الأسباب الذاتيّة:

تعدّ الحمامات إرثًا ثقافيًا يتوارثه المجتمع عبر الأجيال، ويعود ازدهارها تاريخيًا إلى الحقبة الذهبية في مجال البناء المعماري الروماني، حيث أظهرت الحمامات الرومانية جماليّتها وضخامتها وفخامتها ووظائفها المتعدّدة.

كانت الحمامات العامّة الرومانيّة ولا تزال مصدر إعجاب وتقدير وتساؤل على مدى العصور، مُشكّلة صورة جليّة عن المجتمع الذي تنتمي إليه، خاصّةً إنّها انتشرت في أكثر من منطقة، وعبرّت عن ثقافة شعبها. كما ساهمت هذه الحمامات في نشر ثقافتها في شتى أصقاع الأرض، بما في ذلك بلاد الشرق، وأدخلت عليها أساليب ونظم ووظائف تتناسب مع كلّ بيئة وثقافة وعقيدة دينية ذات صلة بالمجموعات البشرية. تكمن أهميّة هذه الدراسة في استكشاف تأثير هذه الثقافة على تراثنا الخاص.

- الأسباب الموضوعية:

تسعى الدراسة إلى تحليل العلاقة بين الحمامات العامّة وأفراد المجتمع، ودورها في تشكيل نمط الحياة الاجتماعيّة في لبنان، مع التركيز على الخلفية التاريخية للحمامات الرومانية. كما تحديد مفهوم "الحمام" في المفهوم والمصطلح.

- الأهداف

- إبراز أهميّة الحمامات العامّة في لبنان، وتعزيز الوعي بأهميّة الحفاظ على التراث الثقافي المرتبط بها.

- توضيح التأثير الثقافي والتاريخي للحمامات الرومانية على الحمامات العامّة في لبنان.

- تقديم تحليل شامل للمعايير المعمارية، والوظائف الاجتماعيّة، والزخارف في الحمامات الرومانية والحمامات العامّة في لبنان.

- تقديم توصيات بشأن كيفية التوازن بين الأصالة والمعاصرة في سياقات التغيير العمراني، وضمان الحفاظ على التراث الثقافي المرتبط بالحمامات العامّة.

- الإشكالية العامة -

تكاد الحّمّات العامّة في بيروت أن تندثر وتتلاشى، بعدما كانت تمثّل محور حياة المجتمع اللبناني في حقب سابقة من الزمن، ولكلّ مستويات الطبقات الاجتماعية؛ وأصبح الحّمّام العامّ في بيروت من الماضي، حيث أهمل العديد منها، أو تحوّلت إلى مؤسسات تجارية لا تعكس قيمتها الثقافية الأصليّة. ومع الوقت فقدت هذه الحّمّات دورها كجزء من التراث الثقافي والاجتماعي في بيروت، كما قيمتها التاريخية والجماليّة، وظائفها الأساسية، زخارفها الفريدة وخصائصها المعماريّة التي كانت جزءاً من الطابع المميز للمجتمع. إذ همّشت التغيّرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية أهداف الحّمّام ودوره التقليدي.

يسوقنا ذلك إلى طرح مجموعة من الأسئلة:

- ما هي الأسباب الكامنة وراء تراجع دور الحّمّات العامّة؟ كيف يمكن استعادة قيمتها الثقافية والتاريخية؟ وما هي الخطوات المطلوبة للحفاظ على هذا التراث المعماري الضارب في القدم؟
- هل تأثرت الحّمّات العامّة التركية التي أنشئت أبان مطلع القرن التاسع عشر في لبنان مثل حّمّام النّزهة بالحّمّات الرومانيّة، ولاسيما حّمّات كركلا، من الناحيتين المعمارية والزخرفية؟ وما مدى هذا التأثير؟
- كيف أدّى اندثار هذه الحّمّات في بيروت إلى فقدان جانب من التراث الثقافي والاجتماعي اللبناني، وكيف انعكس ذلك على هوية المجتمع وخصائصه الاجتماعية والجمالية؟

- حدود الدراسة -

تتبع هذه الدراسة مجموعة من الحدود التي تحدّد نطاقها وتركيزها، ما يساهم في توضيح الأبعاد التي تمّ التركيز عليها وتحليلها بشكل دقيق. وتشمل ما يأتي:

الحدود الزمانية:

ركّزت الدراسة على تاريخ الحّمّات العامة من القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، وهي الحقبة التي شهدت فيها الحّمّات العامّة تطوّراً ملحوظاً، ودوراً اجتماعياً بارزاً في حياة المجتمعات. تمّ استعراض التغيّرات والتحوّلات الثقافية والمعمارية التي أثّرت على تصميم الحّمّات ودورها واستخدامها.

الحدود المكانية:

ركّزت الدراسة على الحّمّات العامّة في لبنان، مع إجراء مقارنات مع الحّمّات الرومانيّة الشهيرة، مثل حّمّات كركلا. تمّت دراسة الخصائص المعمارية والثقافية والاجتماعية لكلّ من هذين المثالين، وذلك في سياق مناطقهم الجغرافية وتأثيرهم على الحياة اليوميّة للسكّان.

- مناهج العمل -

ارتكزت الدراسة بشكلٍ رئيس على المنهجين التاريخي، والوصفي-التحليلي، لتحقيق فهم شامل لتاريخ الحّمّات العامّة في لبنان وأهميتها، مقارنةً بالحّمّات الرومانيّة. هدف استخدام المنهج التاريخي لدراسة تطوّر مفهوم الحّمّات عبر العصور، بدءاً من العصور القديمة وحتى الوقت الحالي، والمراحل المختلفة التي مرّت بها، بما في ذلك الخلفية التاريخية للحّمّات الرومانيّة وأثرها على مثيلاتها في لبنان. وإلى دراسة العوامل الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية التي أدّت إلى نشوء الحّمّات وتطوّرها، ومدى تأثير الأحداث التاريخية على استخدامها. أمّا المنهج الوصفي فقام على توصيف خصائص الحّمّات، بما في ذلك تصميمها المعماري، الزخارف، والوظائف الاجتماعية والثقافية، وكيفية استخدامها من قبل أفراد المجتمع وأنماط الحياة المرتبطة بها. بالإضافة إلى ذلك، تمّ إجراء تحليل مقارن بين الحّمّات الرومانيّة والحّمّات اللبنانيّة، مع التركيز على أوجه التشابه والاختلاف في التصميم، الزخرفة، والوظائف الاجتماعية.

- هيكليّة الدراسة

ينقسم محتوى الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول، خاتمة، ولائحة بالمصادر والمراجع. في المقدمة: تحديد أهداف الدراسة، وإيضاح أهمية موضوع الحمامات العامّة في السياقين الروماني والليباني.

يستعرض الفصل الأول مفهوم الحمام تاريخياً وثقافياً، مع التركيز على دوره الاجتماعي والديني، وكيفية انتقاله من العامّ إلى الخاصّ.

يتضمّن الفصل الثاني تحليلاً مفصّلاً للحمامات الرومانيّة (حمامات كركلا) وتأثيرها على الحمامات العامّة في لبنان (حمام النزهة)، مع تقديم توضيحات حول المعايير المعمارية، الوظائف الاجتماعية، والزخارف.

ينتقل الفصل الثالث إلى دراسة أوجه الاختلاف والتشابه بين الحمامات العامّة (التركية) والحمامات الرومانيّة، متناولاً النواحي المعمارية والزخرفية والتأثيرات الاجتماعية لكلّ منهما.

في الختام، تلخص الدراسة النتائج الرئيسة، وتسلط الضوء على أهميّة الحفاظ على التراث الثقافي المرتبط بالحمامات العامّة، مع تقديم توصيات حول كيفية التوازن بين الأصالة والمعاصرة في سياقات التغيير العمراني. تضاف قائمة المصادر والمراجع في النهاية لتوثيق المعلومات المستند إليها.

الفصل الأوّل: الحمام في المفهوم العام والمصطلح

1-1 مفهوم الحمام

في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني من العام 2001 م، أعلنت منظمة الأمم المتّحدة يوم الحمام (World Toilet Day)، وذلك لأنّ أكثر من 3.6 مليار شخص حول العالم لا يملكون دورة مياه خاصّة، ويقضون حاجتهم في الخلاء بعيداً عن المكان الذي يعيشون فيه¹.



الصورة رقم 1: الجدول الزمني لليوم العالمي للحمام. المصدر:

(نقلًا عن <https://nationaltoday.com/world-toilet-day> بتاريخ 4 كانون الثاني 2025)

لقد بدأ التاريخ الحقيقي لاختراع المراض منذ 3000 عام، حيث وجد في منطقة "هاربا" الهندية حفريات لنظام صرف صحيّ ترجع لثلاثة قرون مضت². لكن ما وُثّق في كتب التاريخ أنّ الثوابت التاريخية تؤكّد أول ظهور للمرحاض في الأباطورية الصينية. وكانت على شكل مقعد حجري ودورة مياه مرتبطة به، ويعود تاريخها لأكثر من 2000 عام تحديداً لعصر سلالة "هان".

في القرن الثالث عشر وضع الملك لويس الثالث عشر مرحاضاً مزخرفاً أمام عرشه إحتراماً وتقديراً لهذا الإختراع. وتقول كتب التراث إنّ الرومان من أكثر الشعوب التي اهتمّت بتطوير فكرة المراض. وأول عالم سجّل باسمه اختراع المراض بنظام صرفه المعروف كان "جوزيف براماه"

¹ تقرير منظمة الصحة العالمية (WHO)، www.who.int.

² مصطفى أبو عرب، "حمامات عمومية"، dr.moustafabouarab.com.

عام 1778 م وما زال يُستخدم المرحاض ذاته الذي اخترعه حتى يومنا هذا في منزل الملكة "فيكتوريا" في جزيرة "وايت" بالدنمارك. أمّا المرحاض بشكله الكامل كما هو في منازلنا اليوم (مرحاض وصندوق مياه) فيعود إلى عام 1898 م. حيث كان الحمّام الخاصّ حكراً على الملوك والأمراء ورجال السلطة¹.

تُعدّ الحمّامات العامّة التي كانت سائدة في الحقبة الرومانيّة خلال القرن الثاني قبل الميلاد، من المراكز الاجتماعيّة المهمّة، وكانت تأخذ شكل المنشآت المتواضعة والصغيرة الحجم، مع احتفاظها بقيمة كبيرة لكونها من أكثر المعالم تصويراً لنمط الحياة وخصوصاً في وقت الفراغ الذي تمنح فيه العناية بالجسم والنفس². جسّدت هذه الحمّامات الصورة الحقيقيّة لعادات الشعب الرومانيّ وحبّه للحياة الصحيّة والرياضيّة والترفيهيّة، فلم تكن تخلو منها مدينة كبيرة كانت أم صغيرة، تُقدّم لهم الترفيه بالمعنى الكامل والأفضل³. كما أنّها مكان مقدّس لارتباطها بألهة الطبّ "Esculape"، والتي تسمح بالاغتسال والحفاظ على الصّحة⁴.

تطوّرت الحمّامات لتصبح مراكز للعناية بجسم الإنسان وذهنه في عهد الإمبراطور "أغسطس"⁵، وكان عددها بحوالي 170 حمّام⁶، ممّا يعكس أهميّة النظافة والرعاية الذاتيّة في الثقافة الرومانيّة. لم يذكر التاريخ وجود حمّامات عامّة في شبه الجزيرة العربيّة قبل الفتح الإسلاميّ لبلاد الروم. وقد تمّ تشييد أوّل حمّام عامّ إسلامي على يد "عمرو بن العاص" * في مدينة الفسطاط، التي كانت تُعدّ عاصمة مصر في تلك الفترة.

ارتبطت الحمّامات بشكل عامّ بالديانة الإسلاميّة، نظراً لحاجة عقيدة الدين الإسلاميّ إلى الطهارة والنظافة لإتمام الأعمدة الخمسة للدين ومنها الصلاة التي تُعدّ جزءاً حيويّاً من العبادة، وتتطلّب الوضوء. عندها أخذت الحمّامات العامّة بالانتشار أبان الحكم العثماني، وذلك لسيطرة الدولة العثمانية لأعوام كثيرة على الشعوب العربيّة؛ فكان الحمّام محوراً للحياة الاجتماعيّة، ورمزاً لها في تلك الحقبة المنصرمة.

يشير الشيخ طه الوالي إلى: "أنّ المسلمين هم أوّل من تنبّه إلى ضرورة وجود الحمّامات، سواء في أماكن الصلاة أو في البيوت. بينما بقيت أوروبا تجهلها حتى عهد قريب. فلم يكن في بيوت الأوروبّيين، بما في ذلك قصور ملوكهم وأمرائهم، مثل هذه الأمكنة، وعندما زار الوالي قصر فرساي في باريس، وجده خاليّاً منها كسائر البيوت العاديّة الأخرى التي بُنيت في زمان بنائه"⁷.

¹ هبة المهدي، "تاريخ تطور المرحاض من الحفرة إلى التواليت"، نقلًا عن الموقع الإلكتروني www.dotmsr.com، بتاريخ 2015/10/19، ص 4:41.

² Lenoir Éliane, « Thermes et palestres à l'époque romaine », *Bulletin de l'Association Guillaume Budé*, n 1, 1995, p. 62.

³ CARCOPINO Jérôme, *Daily Life in Ancient Rome, the people and the city at the height of the empire*, penguin books, London, 1941, p. 277.

⁴ GINOUVÈS René, *Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine. Tome III. Espaces architecturaux, bâtiments et ensembles*, École Française de Rome, Rome, 1998, p.100.

⁵ الإمبراطور أغسطس: ولد عام 63 قبل الميلاد وتوفي عام 19 بعد الميلاد، كان رجل دولة وزعيماً عسكرياً للإمبراطورية الرومانية، وهو من أكثر القادة فاعليّة وإثارةً للجدل في تاريخ البشرية.

* عمرو بن العاص: قائد عسكري عربي مسلم من بني قريش، كان من أدهى دهاة العرب في عصره أشتهر بقيادته الجيوش الإسلامية في مصر، وبعد نصره على الروم أسس مدينة الفسطاط وجعلها عاصمة مصر.

⁶ "الحمّامات الرومانيّة: حمامات كركلا نموذجاً"، نقلًا عن www.Marhabaroma.Wordpress.com بتاريخ 3 كانون الثاني 2025.

⁷ الشيخ طه الوالي، المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، ط (1)، بيروت، لبنان، 1988م، ص 310.



الصورة رقم 2: مراحل تطوّر الحمام. المصدر:

(أحمد عز الدين، "مراحل تطوّر «المرحاض» من الانسان البدائي وحتى اليوم.. وهذا أول من استخدم «الحمام»"، 12 أبريل، 2018، نقلاً عن <https://www.l2tat.com> بتاريخ 3 كانون الثاني 2025)

مع دخول مرحلة الحداثة، تطوّرت الحياة الاجتماعية في العالم الإسلامي وتغيّرت، وتحوّلت الحمامات العامّة إلى أماكن للترف، وتُستخدم من قبل الطبقة الميسورة، عندها تطوّرت الحياة البشرية، وارتفع مستوى دخل الفرد، وتموضع الحمام داخل منزله. كما أدت العولمة إلى إدخال أنماط حياة جديدة وثقافات مختلفة، ما أثر على العادات والتقاليد المرتبطة بالحمامات العامّة، وكثير من الناس أصبحوا يفضلون أماكن ترفيهية حديثة بدلاً من الحمامات العامّة التقليدية التي استمرّ الفقراء في استخدامها بسبب عدم توافر المياه في بيوتهم آنذاك. إضافةً إلى ذلك، في ظلّ المشاريع العمرانية الحديثة، ونتيجة التحوّلات الثقافية التي أدت إلى تغيّر المفهوم العامّ للصحة والنظافة، تمّ تجاهل الكثير من الحمامات العامّة، إما بتهميشها أو تحويلها إلى مرافق تجارية من دون الاهتمام بجذورها الثقافية والتاريخية.

2-1 الحمام في المصطلح

مصطلح "Thermae" هو إغريقي، ويعني مصدر الماء الساخن، ثمّ تطوّر المعنى ليصبح حمام الماء الساخن حيث تنتشر الحرارة في أنحاء قاعات الاستحمام¹. أمّا مصطلح Balineum ومفردها Balineae فيدلّ على حمامات عمومية أو خاصّة عندهم². الكلمة الأصلية الوحيدة في اللاتينية التي تصف الحمام أو المرحاض هي: Lavatrina / lavacrum / lavation، والأكثر دلالة هو الاسم Lavacra. استخدم المصطلح "Bains" لوصف الحمامات بجميع أنشطتها، حتّى الرياضية والثقافية والتي تُقام في ساحة مُحاطة برواق (Palastre) مُخصّصة للأنشطة البدنية قبل الذهاب للاستحمام. كما أُطلق مصطلح Balnéaire على مُنشأة الحمامات التي تسمح للناس بالاعتسال في أفضل حالة صحيّة³.

¹ RICH Anthony, *Dictionnaire des antiquités romaines et grecques*, Firmin didot frères Rue Jacob, Paris, 1961, p. 639.

² GROS Pierre, *L'architecture romaine, du début du III siècle av J-C ; à la fin du haut-empire, les monuments publics, les manuels d'art et d'archeologie antique*, Picard, 2ème edition, France Quercy, 2002., p. 388.

³ GINOUVÈS René, *op. Cit.*, p. 100.

الفصل الثاني: الحمامات الرومانية العامة عبر التاريخ

كان انتشار الحمامات العامة في المدن دليلاً على البعد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمدينة أو المنطقة التي أنشئت فيها. فكانت ملتقى للحياة الاجتماعية والدينية في وقت لاحق. حيث كانت تضم الأسواق التجارية، والمكتبات والملاعب والمدرجات والقاعات الرياضية والحدائق وغيرها من وسائل الترفيه.

تمثلت الحمامات العامة في العصور الرومانية بشكل واضح في حمامات أباطرة الرومان مثل: تراجان، نيرون، كركلا¹ التي كانت تتميز بالضخامة. فكانت هذه الحمامات تستوعب آلاف الرواد في وقت واحد، حيث لم تكن مجرد أماكن للاستحمام أو الاغتسال فقط، بل للقيام بمجموعة من الطقوس كذلك، فقد احتوت مجموعة من الوظائف المعمارية التي يُمكن من خلالها التعرف إلى ثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه وحضارته، فضلاً عن الدوافع الجمالية، ليتبين لنا أن اتجاهات تصميم الحمامات العامة تتغير وفقاً للمعتقدات والأيدولوجيات والتقنيات المتاحة في كل حقبة زمنية. ولا تزال آثار هذه الحمامات قائمة حتى يومنا هذا في العديد من المدن التي غزتها، وتُستخدم كمعالم سياحية. يكمن السبب وراء إنشائها وانتشارها في الإمبراطورية الرومانية، إلى بناء الإنسان جسدياً وذهنياً، وتجسيد قوة الإمبراطورية. كما يُقال في مثل روماني قديم: "العقل السليم في الجسم السليم".

ارتبط تاريخ الحمام الروماني بالحضارات القديمة، مثل الفرعونية والأغريقية. ويرجع الباحثون أن أول حمام عام شهدته المجتمعات الإنسانية كان في الحضارة الفرعونية - بحر أيجه عام 3200 قبل الميلاد²، حيث وجدت حمامات ملحقة بالمعابد الخاصة بالكهنة، وكانت تُستخدم للطهارة والتعبّد، وظلت تتوارث الحضارات هذه العادة عبر العصور. وعند الاغريق، ارتبطت الحمامات بمنشآت الألعاب الرياضية الجبازية. فكان للحمام شعبية كبيرة، يتم الاغتسال فيه بعد القيام بتمارين بدنية³. وبعدها عمد الرومان على تقليد الاغريق في نموذج الحمامات، وطوّروه من حيث التخطيط بإضافة التقنيات الرومانية⁴.

كانت الحمامات الرومانية العامة تتألف من مجمعات معمارية كبيرة متعدّدة الأجنحة، يتوسطها ساحة (Palastre) كبيرة مكشوفة، تُحيط بها أروقة، وقبل الذهاب للاستحمام يتم فيها القيام بأنشطة بدنية، ومختلف الرياضات والمصارعة، وتكون مزينة بالأشجار (حدائق) والتمائيل. تحوي هذه الحمامات صالات كبيرة تُستخدم لتبادل الأخبار والأحداث، ومناقشة القضايا الاجتماعية والسياسية والفلسفية والأدبية والفنية، والاستمتاع بأنشطة ترفيهية مثل الألعاب اللوحية والموسيقى. فضلاً عن صالات رياضية لممارسة مختلف التمارين الرياضية والعناية بالجسم. وهي بدورها محاطة بأسوار خارجية. وفي مرحلة متقدمة أُدخل عليها المحلات التجارية (بسطات) ومكتبة عامة. كما ترتبط جميع القاعات بعضها ببعض عبر أروقة وقاعات الخدمة في الطابق السفلي، وتحتوي على خزانات مياه كبيرة، وأفران التسخين.

كان بها عدّة أقسام، تحتوي على الفضاءات الأساسية في الحمام، وهي: القاعة الساخنة (Caldarium)، القاعة الدافئة أو الفاترة (Tipidarium) والقاعة الباردة (Frigidarium). وفي

¹ الأميرطور تراجان: ثاني أباطرة النطونيين الرومان، في عهده بلغت الإمبراطورية الرومانية أوج اتساعها، وأُشيدت أكثر المباني شهرة في روما وعلى طول نهر الراين.

الأمبراطور نيرون: حكم الإمبراطورية الرومانية بين أعوام 54-68م هو خامس وآخر امبراطور من السلالة اليوليوكلودية. الأميراطور كركلا: حكم بين أعوام 211-217م كان من أبرز أباطرة الرومان الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية. ترك آثاراً مهمة، وكان حكمه لافتاً بسبب إنجازاته ومنها: إصدار مرسوم منح الجنسية الرومانية للأجانب لزيادة الضرائب التي تدعم الجيش الروماني، تشييد الحمامات العامة الكبيرة في روما وخارجها.

² خولة الفرشيش، "الحمام في الحضارة العربية"، نقلًا عن الموقع الإلكتروني www.Raseef22.com بتاريخ 2016/10/2، ص 10:23.

⁴ BAHLOUL Fatima Zohra, « Etude Et Mise En Valeur des Thermes Publics Romains De Thamugadi- Timgad, Lambaesis-lambese Et Cuicul-djemila », Université Mohamed khider, Biskra, 2016, p. 3, <https://theses-algerie.com/>

الغالب نجد حوضًا للسباحة (Pissine). كما احتوت على مناطق للاسترخاء حيث يُمكن للزوار الاستراحة أو ممارسة أنشطة اجتماعية. فكان يتم تسخين المياه بواسطة نظام متطور من الأنابيب التي تنقل بخار الماء الساخن، مما يضيف على المكان جواً مريحاً. كما نجد قاعات أخرى مثل قاعة التدليك (Alaeothesium) وقاعة التعريق (Laconicum)، مع ما يلزمها من ملحقات أخرى مخصصة لغرض الاستحمام¹.

من الملاحظ أن معظم الحمامات الرومانية كانت تأخذ شكل المربع أو المستطيل، تعلوها قبة دائرية. وكُست جدران الحمامات وأرضياتها بالرخام المُطعم والمرصع بالموزاييك والزجاج، ما أتاح للزائر الاستمتاع بسحر تنقل الضوء في المساحات الضوئية². تُعدّ هذه المنشآت المائية دليلاً على قوّة الحضارة الرومانية وتطورها. عكست الحياة اليومية وتطور العمارة. فكانت مفتوحة بفضائها المختلفة لكل أفراد الشعب الروماني.

1-2 حمامات كركلا - روما

شهدت الحمامات العامّة في روما تطوراً كبيراً خلال فترة الحكم الروماني، حيث ازداد عدد الحمامات العامّة من حوالي 170 منشأة³ في عهد أغسطس إلى ما بين 856 و942 حماماً في القرن الرابع ميلادي، ولكن معظمها زال مع الزمن⁴. تميزت بمستوى عالٍ من الكفاءة والتنظيم في آن واحد، حيث كانت تضم مجموعة واسعة من الخدمات، بما في ذلك غرف الاستحمام والملاعب والمكتبات والممرات والأسواق التجارية. وكانت الحمامات الحديثة تشمل غرفاً دافئة وباردة وغرفة بخار وتدليك، وتخضع لجدران مغطاة بالرخام والفسيفساء، ما يعكس رفاهية الحياة الرومانية. قدّمت الحمامات العامّة في روما تجربة ترفيهية متنوعة، حيث يمكن للزوار الاستمتاع بالحمام الساخن والتسليّة في الألعاب والقوارب والملاعب والمسرح والموسيقى. كما كانت مكاناً لتبادل الأخبار والمناقشات السياسية والأدبية والفلسفية.

كان حمام كركلا واحداً من أكبر الحمامات في الامبراطورية الرومانية وأكثرها شهرة، وتم بناؤه في عام 216 م بطريقة معمارية معقّدة، تميّز مخطّطه بالتماثل (Symetrie). يوجد محورين أساسيين في التصميم، أحدهما يحوي دورات المياه وحمامات السباحة، والآخر مخصّص للخدمة، ويضمّ غرف وممرات الخدم. بعد بناء حمامات كركلا، أُسِّبَت حمامات Diocletian بين عامي 298 و305 م، وكانت تحمل سمات حمامات كركلا ذاتها من حيث الشكل والتصميم في بعض الأماكن، مع إضافة بعض الوظائف، مثل مكتبة عامّة ومسرح وبعض القاعات المخصّصة للمناقشات الأدبية والفلسفية والسياسية⁵. كان يضمّ مجموعة كبيرة من الخدمات الاجتماعية والترفيهية، وبلغ عدد زواره الألاف.



الصورة رقم 3: حمامات كركلا - روما. المصدر:

¹ توفيق عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، ج. 1، مصر، 2014، ص ص 464 - 465.

² CODE Emily, "Architectural Details", *Great Britain*, 2014, p. 143.

³ وجب الإشارة إلى أقدم مراحل تأسيس مدينة بومباي، التي حافظت على أولى الحمامات والمسماة بـ "ستابي" (Stabian)، التي بُنيت خلال القرن 02 ق.م. راجع: GROS Pierre, op. Cit., p. 388.

⁴ FOULCHE Anne-Laure, « Les Balnea de Rome à travers la Forma Urbis Severiana et les Catalogues – Regionnaires », *MEFRA*, 123/2, 2011, p. 597.

⁵ CODE Emily, op. Cit., p. 143.

(نقلًا عن www.Wikipedia.org بتاريخ 3 كانون الثاني 2025)

توقّفت حمّامات كركلا عن العمل في عام 537 م بسبب هدم القنوات، وانقطاع المياه التي كانت تُجلب من خارج المدينة عنها، وأصبحت فيما بعد تستقبل الحجاج ما بين القرنين السادس والسابع، وفي فترة لاحقة استخدمت كبيوت ومساكن بسيطة. مع بداية القرن الخامس عشر وحقبة عصر النهضة استخدمت الكثير من أحجارها وأعمدتها لمشاريع معمارية جديدة، وبشكل خاص، للكنائس والقصور البابوية كما هي الحال في بقية المنشآت الرومانية¹. وأصبحت ملتقى ثقافياً وسياحياً، تُقام فيها الأنشطة الثقافية من أمسيات الأوبرا والباليه والحفلات الفنية وغيرها.

2-2 حمّام النزهة - بيروت

انتشرت الحمّامات العامّة في شتّى أنحاء مدينة بيروت، بالإضافة لما أقامه الأرمن عند لجوئهم إلى لبنان من حمّامات خاصّة بهم، في شوارع "كامب طراد" و"كامب مرعش" في منطقة الدورة شرقي المدينة².

يشير المؤرّخ صالح بن يحيى التنوخي³ إلى وجود حمّام عامّ في بيروت، أنشأه نائب الشام خلال الفترة الممتدّة بين 1312 م و1340 م. في حين ذكر الرحالة عبد الغني النابلسي* عند زيارته لبيروت في أيلول سنة 1700 م، أنّ المدينة فيها أربعة حمّامات⁴.

تأثرت الحمّامات العامّة في بيروت بأصولها التركية تماماً كالمقهى، حيث اعتمدت التصميم المعماري ذاته. وذلك لأنّ ذروة انتشار الحمّامات كانت في العهد العثماني. بعدها عمّمها السلاطين في جميع أنحاء الإمبراطورية العثمانية الممتدة في أقصى مراحل امتدادها من أطراف النمسا غرباً إلى أطراف بحر قزوين شرقاً.

تألّفت الحمّامات في الشرق عامّةً من ردهات واسعة معقودة بالحجر، تعلوها قباب تصل منها كوى صغيرة مدوّرة لتستقبل ضوء النهار. كانت هذه الحمّامات تُصمّم بطريقة لا تعرف الهواء المباشر مطلقاً، بحيث أنّ كلّ نافذة مجهزة بعدسة من الزجاج⁵.

تميّزت هذه الحمّامات بتعدّد الوظائف، ففضلاً عن استخدامها لتأدية فروض الوضوء للصلاة، كانت كذلك مكاناً للتشاور، وعقد الصفقات التجارية، وخدمة المسافرين الرّحل والغرباء عن المدينة، وتجهيز العريس قبل الزواج. كما كانت رمزاً للتباهي بالمكانة الاجتماعية.

يُعدّ موقع الآثار الرومانية في وسط العاصمة بيروت (صورة رقم 4)، والذي يُعرف بشارع المصارف مقابل كنيسة الآباء الكبوشيين في الجهة الشرقية للسراي الكبير، شاهداً على هذه الحمّامات. تمّ اكتشاف الآثار في عام 1968م، ثمّ خضعت لعملية تجديد كبيرة في منتصف التسعينيات، وأصبحت معلماً سياحياً بعد ترميم الوسط التجاري لبيروت عقب الحرب الأهلية اللبنانية التي عصفت بالبلاد عام 1975م.

¹ www.Marhabaroma.Wordpress.com

² خالد لحام، بيروت في الذاكرة الشعبية، بيروت، لبنان، جزء 4، 2007، ص 198.
³ صالح بن يحيى التنوخي: هو الأمير صالح بن يحيى التنوخي بن الحسين الكبير، والده سيف الدين من أشهر أمراء البيت التنوخي، عاش في القرن الخامس عشر، كان مغرمًا بالعلوم. جمع الكتب في علم النجوم والكواكب والفلك، وكذلك جمع كثيراً من الكتب التاريخية ودواوين الشعراء، وكان فارساً أيضاً فقد صاحب فتوحات حيث شارك في فتح قبرص عام 1425م.
⁴ عبد الغني النابلسي: هو عبد الغني بن اسماعيل الدمشقي 1641-1731م شاعر وعالم بالدين والأدب ورحالة. ولد ونشأ وتصفو في دمشق، قضى سبع سنوات من عمره في دراسة كتابات التجارب الروحية لفقهاء الصوفية، وقد تعددت رحلاته عبر العالم الإسلامي... أستقر بعدها في دمشق وتوفي فيها.

⁵ صالح بن يحيى التنوخي، تاريخ بيروت وأخبار أمراء البحريين من بني الغرب، المطبعة الكاثوليكية، 13 نوفمبر 2018.
⁴ الأول حمّام الأمير فخر الدين بن معن، الثاني حمّام القيساني، الثالث حمّام الأوزاعي، أما الرابع فقديم ولا يُعرف له اسم. راجع: عبد الغني بن اسماعيل النابلسي، التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، المعهد الألماني للبحوث الشرقية في بيروت، 1 يناير 1971، ص 43.
⁵ هنري غيز، بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن، ترجمة مارون عيود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص 67.



الصورة رقم 4: بقايا آثار حمامات رومانية وسط مدينة بيروت. المصدر: (تصوير الباحث، 2025)

يقع حمام النزهة في منطقة "زقاق البلاط" بمدينة بيروت، تم بناؤه عام 1920م على يد الحاج أحمد بيرقدار الذي قام بتحويل بيت عربي قديم إلى حمام على الطراز التركي. وقد توارثه الأباء والأحفاد. كان رواده من مختلف الطبقات الاجتماعية والسياسية، وقد صنفته وزارة السياحة في منتصف القرن العشرين من الأماكن التراثية والسياحية في لبنان. وتعود تسميته إلى رواده، لأن التوجه إليه كان بمثابة نزهة، فضلاً عن الاستحمام كانوا يمارسون حياتهم الاجتماعية داخله يأكلون ويشربون ويستمتعون بلقاء الأصدقاء والأقارب. كان حمام النزهة مكاناً مميزاً يجمع بين الاسترخاء والتواصل الاجتماعي، حيث يُتيح للزوار فرصة الانغماس في أجواء من الألفة والمودة.

تميّزت تصميماته الداخلية بطراز الحمامات التركية التقليدية، حيث تتضمن غرف الاستحمام وأحواض المياه، بالإضافة إلى مساحة مخصصة للاسترخاء والاستجمام. تُعد الأجواء الداخلية لهذا الحمام مميزة جداً، حيث تعكس الطراز المعماري العربي، مع استخدام الرخام والزخارف الجميلة، ما يضيف على المكان طابعاً تاريخياً وثقافياً فريداً.

ب



الصورة رقم 5: حمام النزهة (التركي) في بيروت في العام 1920 (أ). وفي العام 2025 (ب). المصدر: (أ- www.facebook.com/BeirutHeritage/photos) ب- تصوير الباحث، 2025)

تميّزت تصميماته الداخليّة بطراز الحمّامات التركيّة التقليديّة، حيث تتضمّن غرف الاستحمام وأحواض المياه، بالإضافة إلى مساحة مخصّصة للاسترخاء والاستجمام. تُعدّ الأجواء الداخليّة لهذا الحمّام مميّزة جدّاً، حيث تعكس الطراز المعماري العربي، مع استخدام الرخام والزخارف الجميلة، ما يضفي على المكان طابعاً تاريخياً وثقافياً فريداً.

أدّى حمّام النزهة دوراً مهمّاً في حياة المجتمع البيروتي، حيث كان يُستخدَم في مناسبات مختلفة، مثل تحضير العرسان قبل زفافهم، وكانت زيارة هذا الحمّام تمثّل تجربة مريحة وممتعة، تجمع بين العناية بالنفس والاستمتاع بالحياة الاجتماعيّة.

على مرّ السنين، حافظ حمّام النزهة على مكانته كواحد من الأماكن التراثية المهمّة في بيروت، وبقي رمزاً للثقافة التقليديّة اللبنانيّة، حيث يجسّد القيم الاجتماعيّة والروابط الثقافيّة التي تجمع سكان المدينة.

يشير سليم الحصّ إلى أنّ الحمّام أصبح الآن رمزاً من رموز الماضي، وكان يُديره الحاج أبو توفيق بيرقدار وزوجته وابنه، وكان الأب توفيق يديره بمفرده منذ منتصف القرن العشرين، وقد حمل اسم حمّام النزهة من منطقة البسطة في بيروت، ثم أنتقل وأسس حمّاماً بالاسم ذاته في منطقة "زقاق البلاط" تيمناً بالحمّام القديم¹. ويُعدّ الحاج توفيق أوّل من أدخل غرفة البخار إلى لبنان. وقد تميّز بطراز معماري، وكُسي مدخله بلوحة رخامية بيضاء اللون تشير إلى اسم الحمّام وتاريخ إنشائه، وأنّ هذا الحمّام تعود ملكيته إلى عائلة بيرقدار التركيّة الأصل (الصورة رقم 6).

إنّ اندثار الحمّامات العامّة التي كانت أمثلةً حيّةً للطراز المعماري الجميل والزخرفة الرشيقة، أضعف من التنوّع الجمالي في بيروت، وأدّى إلى فقدان العديد من العناصر المعماريّة الفريدة التي كانت تُحاكي التراث العريق للبنان. كما ساهم في فقدان جزء من الهوية الثقافيّة للمدينة، وجعل المجتمع منفصلاً عن تراثه. ومعها فقد المجتمع اللبناني جزءاً مهمّاً من الذاكرة الجماعيّة، وأسس التفاعل الاجتماعي، ما أثر سلباً على الذاكرة الثقافيّة، وأدّى إلى ضعف الروابط الاجتماعيّة بين الأفراد. هذا الفقدان يؤثّر بشكل كبير على كينيّة تصوّر الأجيال الجديدة لتراثهم وتاريخهم الثقافي. ومع تراجع دور الحمّامات العامّة، أصبح الناس يتجهون أكثر نحو الحياة الفرديّة، والاكتفاء بالحمّامات المنزليّة.



الصورة رقم 6: مدخل حمّام النزهة - بيروت. المصدر:

¹ سليم الحصّ وآخرون، موسوعة الحنين إلى بيروت، دار المؤلف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، جزء الأول وثاني، ط (1)، ت 2015، ص 200.

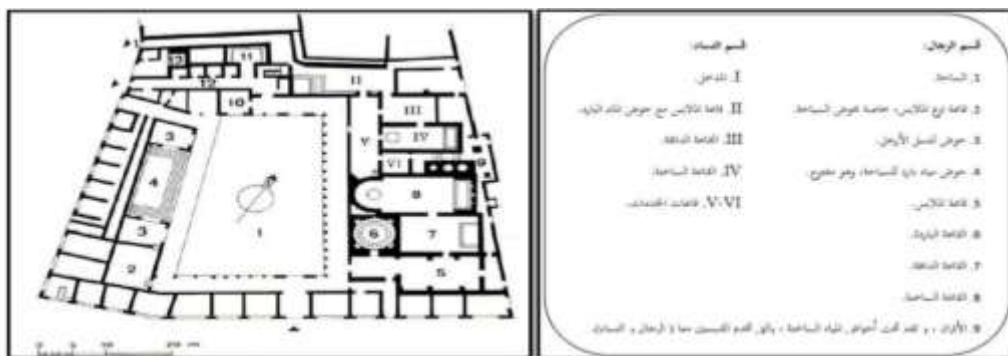
(تصوير الباحث، 2025)

إن اندثار الحمّامات العامة التي كانت أمثلةً حيّةً للطراز المعماري الجميل والزخرفة الرفيعة، أضعف من التنوّع الجمالي في بيروت، وأدّى إلى فقدان العديد من العناصر المعمارية الفريدة التي كانت تُحاكي التراث العريق للبنان. كما ساهم في فقدان جزء من الهوية الثقافية للمدينة، وجعل المجتمع منفصلاً عن تراثه. ومعها فقد المجتمع اللبناني جزءاً مهماً من الذاكرة الجماعية، وأسس التفاعل الاجتماعي، ما أثر سلباً على الذاكرة الثقافية، وأدّى إلى ضعف الروابط الاجتماعية بين الأفراد. هذا الفقدان يؤثر بشكل كبير على كيفية تصوّر الأجيال الجديدة لتراثهم وتاريخهم الثقافي. ومع تراجع دور الحمّامات العامّة، أصبح الناس يتجهون أكثر نحو الحياة الفردية، والاكتفاء بالحمّامات المنزلية. هذا التحول أثر على عادات النظافة وتقاليد الاستحمام، وهو ما أدّى إلى تغيير في أنماط الحياة بشكل عام. حيث فقدت العادات الجماعية التي كانت مركز الحياة الاجتماعية، ما أدّى لظهور نمط حياة أكثر انعزلاً.

3-2 استنتاج

تسهم كل من حمّامات كركلا وحمّام النزهة في تقديم فهم عميق لأهمية الحمّامات كنقاط التفاعل الاجتماعي والثقافي عبر العصور. بينما تمثل حمّامات كركلا قمة الرفاهية والرقى في الحضارة الرومانية، يُعدّ حمّام النزهة مثالاً لاستمرار التقاليد الاجتماعية في العالم العربي الحديث، وتظلّ الحمّامات العامّة بمختلف أشكالها رمزاً للثقافة والتفاعل الاجتماعي في المجتمعات، ما يجعلها أماكن ذات أهمية تاريخية وأثرية. في المجلد، تظهر الحمّامات العامّة بوصفها رموزاً حضاريةً راميةً إلى تطوّر المجتمعات وتاريخها، مع الأثر الدائم الذي تركته على الحياة الاجتماعية والثقافية عبر العصور.

الفصل الثالث: الحمّامات العامّة (التركية) وعلاقتها بالحمّامات الرومانية (حمّام النزهة) (أوجه الاختلاف والتشابه)



الصورة رقم 7: توزيع الفضاءات في الحمّامات العامّة Stabian في روما. المصدر:

(CODE Emily, **Architectural Details**, Great Britain, 2014, p. 125

توفيق زعبار، "الحمّامات الرومانية القديمة بين النظام المعماري والوظيفة"، مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد (8)، العدد (1)، 2023، ص (131)

بُنيت الحمّامات العامّة (التركية) في زمن الامبراطورية الرومانية، وكانها حصون عسكرية أو قلاع أو قصور؛ يغلب عليها الضخامة، الفخامة، الارتفاع، الزخرفة، التيجان والأقواس.

كانت الحمّامات "قبل حمّامات كركلا في روما ذات مخطّط عشوائيّ غير متناظر، تتموضع بداخلها قاعات رياضيّة، وحمّامات سباحة باردة وحارّة فقط، وتُعرف باسم Stabian Baths (الصورة رقم 7). وكانت تقسم إلى قسمين؛ حمّامات الرجال وحمّامات النساء، وكانت حمّامات الرجال تأخذ شكل مستطيل أو مربع تعلوها قبة دائريّة وهي أكبر حجماً من حمّامات النساء"¹. في عصر الإمبراطورية الرومانية أدخلت على الحمّامات وظائف جديدة مثل: المكتبة العامّة والقاعات الكبيرة التي خُصّصت للندوات والمحاضرات الأدبية والفلسفية، والقاعات الرياضية والأروقة، وأضيف السوق التجاري داخل حدائق الحمّام، وهي عبارة عن بسطات متحرّكة. وتمّ الجمع بين حمّامات النساء والرجال بقاعات مشتركة، كحمّامات كركلا في روما.



الصورة رقم 8: حمّام أيا صوفيا حريم السلطان أسطنبول - تركيا. المصدر:

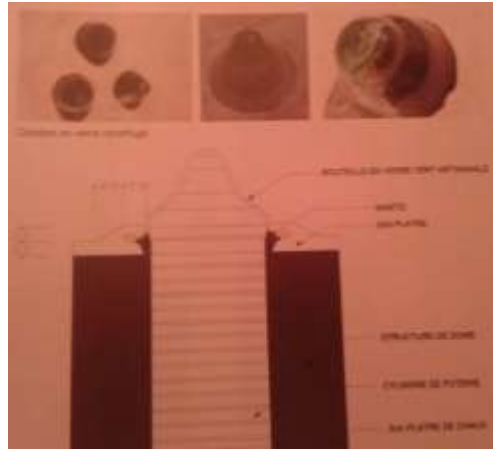
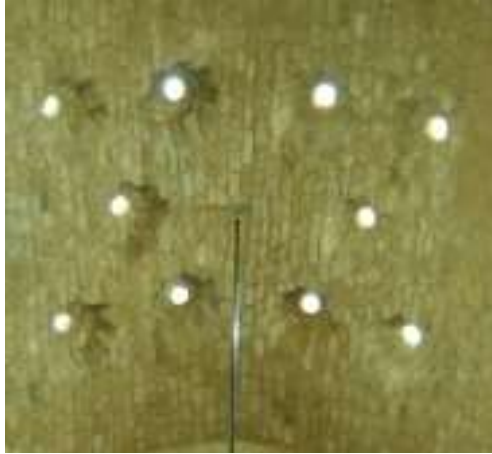
(نقلًا عن www.Urtrips.com بتاريخ 3 كانون الثاني 2025)

بعد الفتوحات الإسلاميّة ودخول المسلمين إلى بلدان روما، بُني مخطّط المدن الإسلاميّة على أساس المساجد والحمّامات العامّة والأسواق التجاريّة، فظهرت الحمّامات العامّة بوصفها حاجةً ضروريّةً مكتملةً للعقيدة الدينيّة الإسلاميّة، كما أشرنا لها سابقاً من حيث الوضوء والطهارة والنظافة؛ ولكن مع مرور الزمن، تمّ الفصل بين حمّامات الرجال وحمّامات النساء، وخصّصت أيّام محدّدة للنساء وأخرى للرجال.

تميّزت هذه الحمّامات بالشكل الهندسي المربّع نحو المستطيل، ويعلوه قبة داخلها فتحات زجاجيّة، وكانت مساحتها أصغر حجماً، حيث إنّ الحدائق الخارجيّة تكاد تخلو منها، وإذا وُجدت فهي صغيرة الحجم، عمّا كانت في حمّامات روما عامّةً وكركلا خاصّةً.

بُنيت حمّامات كركلا وحمّامات النزهة بحجارة طبيعيّة بلغت سماكة الجدران في بعض أجزاء البناء حوالي 80 سم، واعتمدتا التهوية عن طريق النوافذ والقباب التي كانت بداخلها فتحات زجاجيّة، وبقي جزء بسيط من سقف حمّامات كركلا قائماً، وتموضعت في بعض أجزائه الداخليّة دوائر تسمح بدخول الضوء الطبيعي إليها.

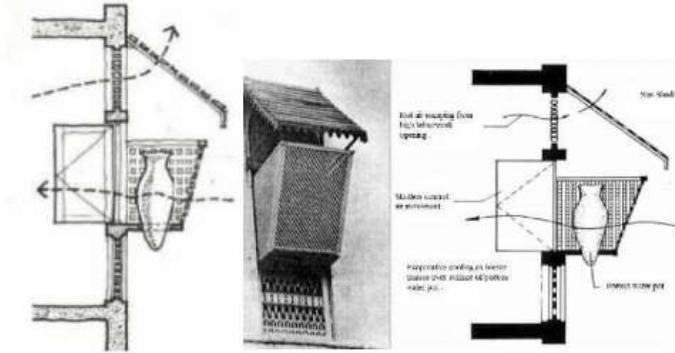
¹ CODE Emily, *op. cit.*, p. 125.



الصورة رقم 9: تفاصيل الأسقف ذات الدوائر الضوئية. المصدر:

(ABI NASSIF Élie, *patrimoine religieux en Orient chrétien. Églises de Khaldé, Bahdidat, Enfeh et Eddé-Batroun*, Publications de l'ALBA, Beyrouth, 2010)

أما نوافذ حَمَام النزهة فأنتت مستطيلة الشكل، كُسيّت من الخارج بمشربيات خشبية تميّزت بها المباني في المدن الإسلامية آنذاك، لكنّها اندثرت مع مرور الزمن (الصورة رقم 10).



الصورة رقم 10: المشربية. المصدر:

(DAYYOB T., *History of Arab Architecture*, AlBath University Press, Homs, Syria, 2001)

تميّزت حَمَامات كركلا بتصميمها المعماريّ الفريد الذي يبرز في وجود الأعمدة الحجرية الضخمة والأقواس نصف الدائرية، المعروفة أيضاً بـ "أقواس النصر الرومانية". تُعدّ هذه الأقواس رمزاً للقوة والانتصار الثقافيّ والعسكريّ. وقال "رينيه ديكارت"، تحمل هذه الرموز مدلولاً دينياً يعكس طقوس العبور المرتبطة بالديانة الرومانية الحربية القديمة، ما يضيف عمقاً تاريخياً لفهم معانيها. فضلاً عن كونها معالم معمارية، فإن تلك الأقواس كانت تمثل أيضاً، عبر العصور، إشارات للانتقال من حال التحدّي إلى حال الانتصار والنجاح، إذ أنّها تجسّد الفخر بالمجد والانتصارات العسكرية التي شهدتها الإمبراطورية الرومانية. وبالتالي، فإن حَمَامات كركلا ليست مجرد منشآت للاستخدام اليومي، بل هي أيضاً مراكز تعكس القيم الثقافية والدينية في المجتمع الروماني القديم¹.
أما أقواس حَمَام النزهة من الداخل، فتتميّز بتصميمها المعماريّ الفريد، حيث تأخذ شكلاً محدباً يساهم في خلق انسيابية فنية مذهشة. يبدأ الشكل المحدب من الأرض، معزّراً بالزخارف والنقوش التي

¹ فيليب سيرنج، الرموز في الفن-الأديان-الحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، سوريا، ط (1)، 1992، ص 414.
*رينيه ديكارت: فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده انعكاسات لأطروحاته، فكان له نظام الإحداثيات الديكارتية، الذي شكل النواة الأولى (للهندسة التحليلية)، فهو من الشخصيات الرئيسة في تاريخ الثورة العلمية والمذهب العقلاني في القرن 17م، هو صاحب المقولة الشهيرة: "أنا أفكر، إذاً أنا موجود".

تزيّن الجدران، وينتهي بنقطة ارتكاز في الأعلى، حيث تتوزّع حمولة السقف بشكل متوازن وداعم. هذا التصميم لا يقتصر على كونه جمالياً فحسب، بل يؤدي أيضاً دوراً مهماً في توزيع الوزن والضغط بشكل فعال، مما يعكس فهم المعمارين التقليديين لمبادئ الهندسة. تعكس هذه الأقواس الفنيّة الهويّة الثقافية والتقنيّات المعماريّة التي كانت شائعة في تلك الحقبة، ما يجعل حمام النزهة مثالاً حياً على التزاوج بين الجمال والوظيفة في العمارة التقليديّة.

تتميّز أرضيّات حمامات كركلا (الصورة رقم 11) باستخدام الرخام الأبيض الفاخر الذي يضيف لمسة من الأناقة والفخامة على البيئة المحيطة. هذه الأرضيّات تمّ تزيينها أيضاً بزخارف ورسومات هندسية ونباتية معالجة بتقنية الفسيفساء، ما يعطيها طابعاً فنياً واستثنائياً يعكس براعة الحرفيين الرومان في ذلك الوقت.

في المقابل، أرضيّات حمام النزهة تمتاز بتصميم مختلف حيث استخدم البلاط الملون المصنوع من الفخار المشوي. هذا النوع كان متوفراً آنذاك، وقد أضيفت إليه رسومات هندسيّة، ما منح الأرضيّات طابعاً محلياً ومميّزاً. تكامل الألوان والأنماط الزخرفيّة على البلاط يمنح المكان جواً جذاباً وحيّاً، ويعكس التأثيرات الثقافيّة المحليّة في التصميم المعماريّ.

إن كلاً من الحمامين يبرز ذوق العصر الذي بُني فيه، ويظهر التباين القويّ بين الفخامة الرومانيّة والزخرفة المحليّة.



الصورة رقم 11: أرضيات حمامات كركلا في روما. المصدر:
(الحمامات الرومانية: حمامات كركلا نموذجاً، 2015، نقلاً عن الموقع الإلكتروني
<https://marhabaroma.wordpress.com> بتاريخ 4 كانون الثاني 2025)

أضف إلى ذلك، فقد استعمل الحجر على الجدران كشكل نجمة ثمانية متداخلة فيما بينها بوصفها تكويناً هندسياً متميزاً من حيث التقارب والتناظر والتوازن في التكوين تصاميم الجدران. إنّ الحمامات العامّة، سواء كانت تركية أو رومانية، تؤدي دوراً مهماً في الحياة الاجتماعيّة والثقافية. رغم أوجه الاختلاف في التصميم والاستخدام، إلا أنّهما يجتمعان في كونهما مراكز حيويّة تعكس التراث وعادات المجتمعات التي نشأت فيهما. كما تُظهر هذه الحمامات أيضاً تفاعل الثقافات وتأثيرها المتبادل على مرّ الزمن.

يظهر من التحليل أنّ تأثير الحمامات الرومانية على الحمامات التركيّة في لبنان ليس مباشراً أو مطبقاً بكلّ دقّة، ويحمل أوجه تشابه واختلاف عديدة تعكس التأثيرات الثقافيّة والاجتماعيّة على مرّ العصور. ويمكن رؤيته بشكل واضح في العديد من الجوانب المعماريّة والزخرفيّة. هذا يُظهر مدى تأثير الحضارات السابقة على التقنيات المعماريّة والزخرفيّة في الحضارات اللاحقة، وكيف أنّ كلّ حضارة تأخذ من سابقتها، وتطوّره وفقاً لاحتياجات مجتمعتها المتنوعة، وتقنيّاتها الخاصّة. ففي حين كانت الحمامات الرومانية تمثل الجانب الاجتماعي والترفيهي في الحياة العامّة، ركّزت الحمامات التركية على الأبعاد الدينيّة والاجتماعيّة.

لذا؛ يمكن اعتبار تأثير الحمامات الرومانية على الحمامات التركيّة في لبنان جزءاً من سلسلة التفاعلات الثقافيّة والتأثيرات المتبادلة بين الحضارات المختلفة على مدار التاريخ.

جدول رقم 1: مقارنة بين الحمامات العامة (التركية) والحمامات الرومانية (مثل حمام النزهة وحمام كركلا)

العنصر	الحمامات الرومانية	الحمامات التركية	الصور
التصميم المعماري	ضخم وفخم تميز بالأقواس والأعمدة والتيجان المزخرفة والقباب	بسيط، مربع أو مستطيل قبة مع فتحات زجاجية	 حمامات كركلا الرومانية https://www.pnggg.com/
الوظائف المعمارية	مكتبات، قاعات ندوات، قاعات رياضية	مكان للوضوء والطهارة فصل بين الجنسين	 حمام أيا صوفيا في تركيا https://xn--pgbo8cs.com/tag
النظام الاجتماعي	مزيج من الحمامات المشتركة للرجال والنساء	أيام خاصة للنساء وأيام خاصة للرجال	
التفاصيل الزخرفية	رخام أبيض مع زخارف فسيفسائية ونباتية	بلاط ملون من الفخار المشوي، رسومات هندسية	 الفسيفساء في حمام كركلا https://iqvel.com/ar/
حجارة البناء	حجارة طبيعية بسماكة جدران تصل إلى 80 سم	جدران أقل سماكة مواد بناء محلية	
التهوية والإضاءة	نوافذ وفتحات زجاجية في القباب	نوافذ مستطيلة مع مشربيات خشبية	
التفاصيل الهندسية	أعمدة ضخمة وأقواس نصف دائرية	أقواس محدبة بسيطة	
المساحات الخارجية	حدائق واسعة، مناطق ترفيهية	حدائق صغيرة أو معدومة	

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج المهمة التي تسلط الضوء على الأهمية التاريخية والثقافية للحمامات العامة في لبنان بوصفها جزءاً من التراث الثقافي والمعماري، وتبرز دورها المحوري في حياة المجتمع على مرّ العصور. وأظهرت الدراسة أنّ هذه الحمامات، سواء كانت الرومانية مثل حمامات كركلا أو التركية مثل حمام النزهة، لعبت دوراً مركزياً في تعزيز الروابط الاجتماعية والثقافية بين الأفراد، فهي لم تكن مجرد أماكن للاستحمام فقط، بل كانت مراكز للتفاعل الاجتماعي والثقافي تعكس عادات المجتمع وتقاليد. فكانت أماكن للاجتماع، والنقاش، والترفيه. كما أكدت النتائج التحولات الكبيرة التي مرت بها الحمامات من كونها مراكز عامة إلى ما هي عليه اليوم. فبسبب تراجع الاستخدام التقليدي لهذه الحمامات، والإقبال على النوادي الرياضية الحديثة، نشهد اليوم تآكلاً في الهوية الثقافية والتراثية المرتبطة بها. لذلك؛ من الضروري أن ندرك قيمة هذا التراث ونضع استراتيجيات للحفاظ عليه من خلال إعادة تأهيل الحمامات العامة وتفعيلها كوجهات سياحية وثقافية واستعادة دورها المهم في الحياة الاجتماعية، ما سيمكّن الأجيال القادمة من الاستفادة من هذا التراث الثري.

- فيما يتعلّق بتوصيات الدراسة، يظهر من خلال تحليل تاريخ الحمّات ودورها الاجتماعي والثقافي أنّه من الضروري التوفيق والتوازن بين الأصالة والمعاصرة عند الحفاظ على الحمّات التراثية. لتحقيق ذلك، يمكن اتّخاذ عدّة خطوات:
- التوعية الثقافية: تنظيم فعاليات تهدف إلى تعزيز الوعي العامّ بأهميّة الحمّات العامّة وأثرها في الهوية اللبنانية.
 - الشراكات: بناء شراكات مع الجهات الحكومية والقطاع الخاصّ ومنظمات المجتمع المدنيّ لضمان استدامة التراث.
 - ترميم وتوثيق وحفظ: تطبيق استراتيجيات علميّة للحفاظ على الطراز المعماريّ الأصليّ لهذه الحمّات وإعادتها إلى حالتها السابقة، عبر إجراء دراسات ومشاريع توثيقية تتناول تاريخ الحمّات العامّة، باستخدام الصور القديمة والشهادات الحيّة لتعزيز الإرث الثقافيّ.
 - إعادة تأهيل الحمّات: تطوير برامج ترميم وصيانة للحمّات العامّة القديمة لإعادتها إلى حالتها الأصليّة، مع الحفاظ على الطراز المعماريّ والزخارف التقليديّة.
 - إعادة النظر في الاستخدامات الحديثة: يمكن تقديم برامج وأنشطة اجتماعية وثقافية تساهم في إعادة إحياء دور الحمّات كأماكن للتفاعل، مثل ورش العمل الفنيّة أو الأنشطة الرياضيّة التقليديّة.
 - التفاعل مع السياحة الثقافية: تحويل الحمّات العامّة التقليديّة إلى وجهات سياحية تحتضن التراث المعماري والتجارب الثقافيّة الحديثة، ممّا يساهم في تعزيز هذه السياحة.
 - البحث المستمرّ: ينبغي تشجيع الأبحاث والدراسات حول الحمّات وتأثيرها الثقافيّ، لضمان تسجيل التاريخ الدقيق ومعرفة الميزات الفريدة لكلّ حمّام، ممّا يساهم في تعزيز الذاكرة الثقافيّة.
 - في نهاية المطاف، نأمل أن تلهم هذه الدراسة الجهود المستقبلية للحفاظ على الحمّات العامّة وتراثها، ونؤكد أهميّة هذه المواقع، ليس فقط كأماكن للاستخدام، ولكن كمعالم ثقافية تنقل ذاكرة لبنان وهويته عبر الأجيال.
 - إنّ الحفاظ على هذا التراث سيكون له أثر إيجابيّ على التنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة في المجتمع اللبناني، ويساعد في تقوية الروابط الثقافيّة التي تجمع بين الأجيال.
 - باتّباع هذه الخطوات، يُمكن لمجتمع بيروت استعادة القيمة الثقافيّة والتاريخية للحمّات العامّة، وضمان بقائها جزءاً من الذاكرة الجماعيّة والتراث الاجتماعيّ للبنان.

لائحة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية والمترجمة

- التتوخي، صالح بن يحيى: تاريخ بيروت وأخبار أمراء البحتريين من بني الغرب، المطبعة الكاثوليكية، 13 نوفمبر 2018، 296 ص.
- الحص، سليم وآخرون: موسوعة الحنين إلى بيروت، دار المؤلف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، جزء الأول وثاني، طبعة أولى، ت 2015، 910 ص.
- سيرنج، فيليب: الرموز في الفن-الأديان-الحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، سوريا، طبعة أولى، 1992، 512 ص.
- عبد الجواد، توفيق: تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، ج 1، مصر، 2014.
- غيز، هنري: بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن، ترجمة مارون عبود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، 398 ص.

- لحام، خالد: **بيروت في الذاكرة الشعبية**، بيروت، لبنان، جزء 4، 2007، 198 ص.
- النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل: **التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية**، المعهد الألماني للبحوث الشرقية في بيروت، 1 يناير 1971، 170 ص.
- الوالي، الشيخ طه: **المساجد في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، طبعة أولى، 1988، 904 ص.

ثانياً: الكتب والدراسات الأجنبية

- ABI NASSIF Élie, *patrimoine religieux en Orient chrétien. Églises de Khaldé, Bahdidat, Enfeh et Eddé-Batroun*, Publications de l'ALBA, Beyrouth, 2010.
- BAHLOUL Fatima Zohra, « Etude Et Mise En Valeur des Thermes Publics Romains De Thamugadi- Timgad, Lambaesis-lambese Et Cuicul-djemila », Université Mohamed khider, Biskra, 2016, p. 3, <https://theses-algerie.com>.
- CARCOPINO Jérôme, *Daily Life in Ancient Rome, the people and the city at the height of the empire*, penguin books, London, 1967.
- CODE Emily, *Architectural Details*, Great Britain, 2014, 284 p.
- DAYYOB T., *History of Arab Architecture*, AlBath University Press, Homs, Syria, 2001.
- FOULCHE Anne-Laure, « Les Balnea de Rome à travers la Forma Urbis Severiana et les Catalogues – Regionnaires », *MEFRA*, 123/2, 2011, p.p 597-611.
- GINOUVÈS René, *Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine. Tome III. Espaces architecturaux, bâtiments et ensembles*, École Française de Rome, Rome, 1998, 352 p.
- GROS Pierre, *L'architecture romaine, du début du III siècle av J-C ; à la fin du haut-empire, les monuments publics*, Picard, 2ème édition, France Quercy, 2002.
- Lenoir Éliane, « Thermes et palestres à l'époque romaine », *Bulletin de l'Association Guillaume Budé*, n ;1, 1995, p.p 62-76.
- RICH Anthony, *Dictionnaire des antiquités romaines et grecques*, Firmin didot frères Rue Jacob, Paris, 1961.

ثالثاً: الدوريات

- خولة الفرشيش، "الحمام في الحضارة العربية"، www.Raseef22.com، 2016/10/2، 10:23.
- هبة المهدي، "تاريخ تطور المراض من الحفرة إلى التواليت"، www.dotmsr.com، 2015/10/19، 4:41.
- توفيق زعبار، "الحمامات الرومانية القديمة بين النظام المعماري والوظيفة"، *مجلة المقدمة للدراسات الانسانية والاجتماعية*، المجلد (8)، العدد (1)، 2023، ص ص 127-140.

رابعاً: المواقع الإلكترونية

www.Marhabaroma.Wordpress.com
www.Wikipedia.org
www.Yabeyrouth.com
www.News.Travelerpedia.net
www.Urtrips.com